

Khitab al-Mufid

خطاب مفيد  
في  
الكنيسة والتقليد

محرر من احد المسجيين ابناء العرب الى احد  
اصدقائه من الروم الشرقيين المدعين بالعلم في  
هذه المدينة ردا على ما هذره على رسالة  
الخواجه مجايل مشافة المعنونة  
بالدليل الى طاعة  
الانجيل

ضلتم لانكم لم تعرفوا الكتب (متى ص ٢٢ ع ٢١)  
لم لا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم (لوقا ص ١١ ع ٤)

خطاب مفيد  
في  
الكنيسة والتقليد

انه حين ظهرت النبذة الاولى من رسالة الخواجا مشاقة  
المعنونة بالدليل الى طاعة الانجيل ظهر من احد الغيورين على  
التقليدات الابوية من ابناء كنيسة الروم الشرقية بضع اقوال  
غير مستقيمة قاصداً بها خنق الزرع الصالح وستر النور السموي  
ببراقع المحاولات . وكان اجل ما يتداول به مع ابناء مذهب  
طعنًا على الانجيليين الاعتراض المعلوم وهو ان كان المسيح قبل  
لوثر . وهذا الاعتراض قد تعب به من قبله كثيرون من جماعة  
البابا حتى جاء هو اخيراً يفرع به هامة البروتستانت كانه لم يقف  
بعد على شيء من معتقداتهم ولا عرف لهم حالاً . الا ان بعض  
المسيحيين من اهالي هذه المدينة قد وضع هذه الرسالة يجيبه عن  
السؤال المستفاد مما تقدم مع ردٍ وجيزٍ على ما اوقعه صديقه  
هذا من الملامة على رسالة الخواجا ميخائيل مشاقة . وهذه صورة  
السؤال

ان المسيح قال لتلاميذه انا معكم من الآن والى انقضاء

الدهر والمذهب البروتستانتي لم يظهر الا في الجيل السادس  
 عشر فابن كان المسيح قبل ذلك  
 فلا ريب ان الجزء الاعظم من جواب هذا السؤال يتوقف  
 على معرفة تواريخ لم تُكْتَبْ باللغة العربية ولهذا لا سبيل الى  
 المباحثة معكم فيه على وجه تاريخي. على اننا نقول بالاختصار  
 ماذا ينبغي ان نفهم من قول المسيح انا معكم من الآن والى انقضاء  
 الدهر. العلمك ايها الحبيب تفهمون منه ان السيد له المجد يعصم  
 الذين يؤمنون على ايدي الرسل او غيرهم من الغلط رغمًا عنهم  
 حتى لا يعود لهم سبيل ان يجردوا عن الايمان به. ولا يخفى انكم  
 اذا تأملتم جيدًا في هذا الامر وطرحتم الغرض النفساني جانبًا  
 فانه يتضح لكم جليًا ان السيد المسيح بهذا الوعد لا يضمن الذين  
 يؤمنون به من كل خلل. لانكم ترون ان نفس الذين تحسبونهم  
 خلفاء الرسل لم يثبتوا على صحة الايمان بل انقسموا الى احزاب  
 كثيرة يخالف احدها الآخر حتى في الامور الجوهرية. فممنهم من  
 نقبوا ومنهم من تعقبوا ومنهم من تنسطروا ومنهم من وطئوا الدين  
 برجليه ونقلد بسيف عالمي يريد ان يخضع به الملوك والسلاطين  
 الذين لم يتقلدوا والسيف جزاقًا نظيره. فلو كان المسيح مع هؤلاء  
 الخلفاء وكان لهم نصيب مما قيل للرسل بالمعنى نفسه الذي  
 تزعمونه انتم لما قدر ابليس المحال ان يدخل الضلالة في عقولهم  
 بوجه من الوجوه ولما امكنه ان يخرجهم من الكنيسة المسيحية

لاعباً بهم بأنواع التخيُّلات المشرقية حتى ايماننا هذه  
والسيد له المجد لم يتكفل ايضاً بصيانة عقول الرسل انفسهم  
في كل شيء لاننا نرى ان بطرس قد ضلَّ هُدْيَةً بنكرانه المسيح  
وهوذا الدافع اسلم معلمه بروج الكفر الى عظماء اليهود وبولس  
يخبرنا واضحاً انه وجد راس الكنيسة المعصوم مستحق التوبيخ  
فويجَّه محض التلاميذ. وها اننا نرى ان المسيح لم يحفظ هولاء  
عنتاً من الوقوع في الغلط. وهو لم يقل لهم في وعدٍ انا اكون  
معكم غصباً عنكم كما تريدون حضرتكم ان تفهموا ولكن كان مفاد  
وعدي انتم ان تثبتوا فيه فهو يثبت فيهم الى الابد. فاذا عساكم  
تقولون عن هولاء الا انهم قد شاءوا ان يضلوا فضلوا وان  
وعد الله بانه يبقى معهم الى انقضاء الدهر لم يضطرهم الى الثبات  
جبراً

ولا بد انه ينبغي من ذلك اولاً ان خلفاء الرسل لم ينالوا  
عصمة من الله. ثانياً ان وعد المسيح لم يوجد فيهم اضطراراً الى  
اتباع الهدى ولا عجزاً عن السقوط في الضلال. ثالثاً ان العدد  
القليل الذي لم يضلَّ انما كان ثباته اجتهادياً

واذا راجعتم حضرتكم الكتب الالهية ترون انه يوجد فيها  
مواعيد كثيرة نظير هذا الوعد لا يمكن ان يفهم منها ما تفهمونه  
من وعد المسيح هذا لتلاميذه من دون شرطٍ يتعلَّق بالذين ينجم  
الوعد اليهم. ولاجل الاختصار نكتفي بذكر مكانين منها

المكان الاول قوله تعالى في سفر الايام الثاني اني قد  
اخترت وقدّست هذا البيت ان يكون اسمي عليه الي الابد  
وتكون عيناى وقلبي به طول الزمان<sup>(١)</sup>

فمنسالكم ايها العزيز هل بقي البيت المشار اليه وهو بيت  
القدس على المحالة المستفادة من هذه الآية واذا قلتم لانفسالكم  
ايضاً هل اخلف الله الصادق وعده ولا ريب ان ذلك محال مع  
ان كلامكم يستلزم لامحالة صدق احدي القضيتين كما لا يخفى  
والمكان الثاني قوله تعالى في سفر تثنية الاشتراع اكتبها  
على اسكف بيتك وابوابه لكي تكثر ايامك وايام بنيك في  
الارض التي حلف الرب لابائك انه يعطيهم اياها ما دامت  
السماء على الارض<sup>(٢)</sup>

فمن المعلوم ان ارض كنعان بقيت زمناً طويلاً في ايدي  
اليهود الا انها خرجت اخيراً من ايديهم. فهل يصح ان يقال  
ان ليهود ايماناً حقيقاً في ان يدعوا بها الآن بناءً على ان الله  
الصادق لا يمكن ان يحنث في ميمينه وعلى ان الشرط الذي علق  
الله دوام تملك هذه الارض عليه لم ينزل موجوداً لانه من  
المعلوم ان السماء لم تنزل على الارض كما ذكر في الآية. والحال  
انه فضلاً عن ان اليهود لا يتكلمونها الآن قلماً يوجد منهم من  
يسكن بها لان الله قد شتمهم في اربعة اقطار المسكونة. وبناءً

(١) ص ٧ ع ٢ (٢) ص ١٤ ع ٢

على ذلك لا تقدر ان نفهم الآية كما تفهمونها حضرتكم ولكن ينبغي ان نقدر فيها شرطاً مضمراً يتعلق به الوعد وهو ان يبقوا محافظين على وصاياه تعالى. ولا يخفى انه قد صرح بهذا الشرط في اماكن اخرى من كلامه تعالى وعلى ذلك يكون الله صادقاً في وعده لهم. وهكذا يجب ان نفهم وعد المسيح لرسوله الاطهار بانهُ يكون معهم الى الابد مقيداً بشرط المحافظة على وصاياه ثم اذا تأملتم ولو قليلاً في ما كتب الي كنيسه اللاذقية في سفر الرويا " يتضح لكم جلياً صدق ما تقدم. لان هذه الكنيسة كانت من جملة الكنائس الرسولية ومن المعلوم انه كان يحق لها ان تدعي بوعده المسيح بان يكون مع تلاميذه الى انقضاء الدهر اقله نظير كنيستكم وكانت تقول نظيرها انها غنية ومكثرة لاحتياج الى احد ومع هذا كله لما رأى السيد له المجد انه قد فقدت منها الصفات المرغوبة قال لها اني ابتدي انقبأك من في. افا ترى انه يخشى على كنيستكم ايضاً من السقوط تحت هذا الحكم بعينه.

وزيد على ذلك ان هذا الوعد الذي تبنون عليه رجاء خلاصكم وتستكفون به عن الفحص كانه لكم خاصة وتغذوه كل كنيسة لذاتها كانه لها مدعية انها نازلة من الرسل على خط مستقيم قد علقه السيد له المجد على شرط صرح به بقوله قبل

ذلك بقليل اذهبوا وعمدوا كل الامم وعلوم جميع ما اوصيتكم به الى ان قال وانا اكون معكم الى انقضاء الدهر فكان له المجد يقول ان علمتموهم ما اوصيتكم به فانا اكون معكم الخ . فهل نقولون ان الخلفاء المذكورين قد علّموا ما اوصى به المسيح وكيف يمكننا تحقيق ذلك عنهم الا بمقابلة تعاليمهم بتعاليمه الموجودة في الكتاب المقدس . ولا ريب ان كل كنيسة من كنائس النصارى تدعي بهذه الدعوى فهل يمكن لكل منها ان تكون صحيحة مع ما يوجد بينها من المضاة . وكيف يمكننا ان نطمئن بضماننا بناء على مجرد ادعاء الكنيسة التي نحن فيها بانها لا تغش ولا تغش والحال ان كل كنيسة خلافها تدعي بذلك . فسييلنا اذن ان نفحص بمساعدة الكتب الموحى بها من الله عن الكنيسة الحقيقية ثم نتمسك بها لان الرسول يقول اخصوا وتمسكوا لا تمسكوا واخصوا

ولا يخفى ان علماءكم يزعمون ان قول السيد له المجد من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وانا فيه يتجه الى عشية الرب . وبولس الرسول يقول من ياخذ من الخبز والخمر بغير استحقاق انما ياخذ دينونة . وهو مسلم من علمائكم ان الانسان قد يكون مستحقاً مرةً وغير مستحقٍ اخرى . ولكن اذا كنتم انتم تفهمون من هذا القول ان الذي يشترك في عشية الرب مرةً باستحقاق لا يعود يمكنه ارتكاب الخطية فيما بعد ولو قصد ما او ان المسيح

يثبت فيه ثبوتاً يمنعهُ من التقلب في ظلام الضلال فاننا نحن  
 اكراماً لمخاطركم نفهم ايضاً من قول المسيح انا اكون معكم الى  
 انقضاء الدهر انه له المجد يثبت مع خلفاء الرسل ثبوتاً متصلاً  
 لا يعقبه انقطاع ولا انفصال

ثم نقول على قولكم ان المسيح قال مها ربطتم يكون مربوطاً  
 ومها حلتم يكون محلولاً انه من المعلوم ان المحل لا يقع الا على  
 ما كان مربوطاً وكذا الربط لا يقع الا على ما كان محلولاً. ولو  
 صح ان هذه الموهبة بعينها تتصل الى جماعة الخلفاء لما امكن ان  
 الدين يستقر على حالٍ من الاحوال لانه يكون لهم حق في  
 ان يربطوا المحلول ويحلوا المربوط متى شاءوا وملتزم حينئذ ان  
 نسلم بعصمة كل من الكنايس المختلفة الموجودة في العالم بناءً  
 على ما تدعيه قسوس كل واحدة منها من حق الربط والحل .  
 وكما انكم لا تسلمون مع ادعائكم بانصال هذا السلطان الى  
 قسوسكم بانهم يحلون ويربطون شيئاً في امر الدين في هذه  
 الاجيال نحن لانسلم بانهم قد استطاعوا على هذا العمل في  
 الاجيال السالفة. وعلى ذلك لا بد لكم من التسليم بوجود الفرق  
 بين حق الرسل وخلفائهم في هذا القول. وبحسب هذا الفرق  
 يكون قسوسكم نواباً في تعليم ما ربطته الرسل او حلته لاصحاب  
 سلطان نظير الرسل كما تزعمون. وناهيك ان القسوس اقله في  
 هذه الايام فضلاً عن خلوص صفاتهم من علامات التقوى الظاهرة



هم أكثر غفلة واغلظ عنفاً واشد ميلاً الى جواذب الحميم من  
 عامة الشعب. فكيف يمكن والحالة هذه ان الله العادل المحكم  
 ياتن مثل هولاء على سلطان الحبل والربط ويسلمهم مفاتيح السماء  
 وهم يجهلون معرفة طريقها وقاصرون طبعاً عن استعمال هذه  
 المفاتيح حسب الحق مع ان هذا السلطان هو من اعظم المواهب  
 ولا بد من اقترائه ببقية المواهب التي كانت للرسل القديسين  
 كاجتراح الآيات والنور الروحاني وهلم جرا والافلا يمكن  
 استعماله باستقامة كما نرى ذلك يومياً. ومن ثم لا يصلح وجوده  
 بدونها ليلا يكون المسيح قد سلم سيفاً ماضياً ذا حدّين في ايدي  
 الهجانين وعلّق سعادة العالم وشقاوته وخلاصه وهلاكه على  
 ارادة اناس اغبياء لا يعلمون ماذا يعملون. فامنعوا النظر في  
 حالة فسوس كنيستكم وفسوس العالم حولكم وانظروا كيف يتم  
 رايبكم في ذلك

ثم نقول ان كنيسة المسيح مع ذلك جميعه لم تفقد من العالم  
 وذلك لاسباب شتى نذكر شيئاً منها بالاجاز ونرجوكم ان  
 نتأملوا في ما نقوله تأمل فاحص طالب الافادة لا تشغله محبة  
 تاييد مراه عن معرفة الحق وقبوله. فمن جملة الاسباب لعدم  
 فقد الكنيسة اولاً ان الكنيسة ليثت تحافظ على الكتاب  
 المقدس في جميع الاجيال. ثانياً انها لم تنزل تعتمد على الكتاب  
 المقدس وتستعين به وترجع اليه في اثبات تعاليمها ودحض

آراء المضادين وذلك مع ما دخل فيها من الغلط . ثالثاً ان  
 الغلط الذي وقع في الكنيسة لم يدخل دفعة واحدة في زمن  
 واحد بل بالتدرج شيئاً فشيئاً وبالتنادي وصل الى ما وصل  
 اليه الآن ويوجد تاريخ معلوم لدخول كل غلط اقله بالاشارة  
 والتلميح . رابعاً انه ما خلا طائفة الولد نسيين المشهورة في العالم  
 بقدمية المعتقد ومطابقة تعاليمها لتعاليم الانجيل النقية الخالصة  
 يوجد كنائس لم تنهز في كل ما رتبته المجمع كالكنيسة الكلدانية  
 التي لم تسلم الا بالمجمعين الاولين كما انك انت ايها الحبيب  
 لا تسلم الا بالسبعة المجمع الاولى . وهذه الكنيسة لا تسلم بعبادة  
 الايقونات او تكريمها ولا بشفاعة القديسين المائتين وهم جراً .  
 كما يتضح مما ذكره سايج ايطالياني كاتوليكي زار هذه البلاد سنة  
 الف وستماية وثمانين بقوله ان الكلدان فضلاً عن رفضهم  
 لمذهب الايقونات يتمسكون بضلالة اخرى اشر من هذه وهي  
 انهم يتناولون القربان المقدس تحت الشكلين اعني الخبز والخمر  
 من دون اعتراف وذلك باجازه قسوسهم ومطارنتهم . وليس في  
 طقسهم شيء من الزينة والاحفال مما نراه في طقوس بقية  
 الكنائس . وقسوسهم يتزوجون مراراً بعد وفاة نساءهم . وهم  
 يصلون باللغة الكلدانية اية لغتهم . فيها انما مع وجود بعض  
 غلطات في معتقد هذه الكنيسة لم نزل نرى شيئاً من البساطة  
 القديمة في تصرفات عبادتها . خامساً ان ما دخل في معتقدات

بعض الكنايس من الغلط انما نشأ عن مبادي واصول معلومة  
ومسلم بها من الجميع ولما لم يقدم اصحاب الجامع ان يفسروها  
بموجب الدين المسيحي تاؤلوها حسب اغواء فلسفة هذا العالم  
الفارغة

ولاجل ايضاح ما نحن في صدده نقول ايضاً ان المسيح  
واضع الشريعة لا يجب ان يتكفل بصيانة عقول الناس من  
الغواية والاهام التي من شان البصيرة الانسانية ان تنهؤر فيها  
وتنشيها. ولكن يكفي ان يضع لهم شريعة تاممة ويصون تلك  
الشريعة الى الابد من كل زيادة او نقصان. ولا ريب انه قد  
فعل ذلك بكتابه اذ صانه بالتام الى الدقيقة المحاضرة من  
جميع المضادين من امم ونصارى ولا يزال يصونه الى منتهى  
الدهر حسب وعده ان ابواب الحميم لن تقوى عليه. والكنيسة  
الرومانية مع انها قد اوجدت طريقة لابطاده ووجوده معاني  
وقت واحد بعينه وذلك بمنعها الشعب عن مطالعته واقتنايه  
حتى صار وجوده بالنظر الى الشعب عدماً وبالنظر الى طغمة  
الاكليروس طلسماً سرّياً يخضعون بقوته عقول ابناءها المساكين  
ويدوسونهم بارجلهم لم تنجاس على تغيير شيء منه مع انه في اماكن  
شتى لا يتنبا عنها بالخير

ولنضرب لكم ايها الحبيب في ذلك مثلاً فنقول ربما لا يخفكم  
ان جماعة البروتستانت فضلاً عن ساير الكنايس لا يصدقون

الاعجوبة التي تدعون ان خلفاء المسيح من كنيستكم يجترحونها  
 كل سنة بالنيابة عنه على ما نسمونه قبر المسيح في القدس . فان  
 كنيسة الروم مقسومة في هذا العمل المدعو منكم نوراً ونعمة الهية  
 الى قسمين ابي خادع وهو القسم الاصغر ولعلكم اتم من  
 هذا القسم لاتعتقدون ان هذا العمل هو اعجوبة الهية حقيقية .  
 والى مخدوع وهو القسم الاكبر ويدخل تحته في الاكثر السذج  
 الاميون الذين يصدقون بكل سهولة ما وقع تحت حواسهم .  
 ومعلومكم ان الكنيسة الحقيقية ليس من شأنها ان تكون خادعة  
 او مخدوعة . وهذا الخداع مربوط برياط وثيق ومعنى به ومحفوظ  
 جيداً وبكل حرص بخلاف غيره من الخداعات التي تصدر من  
 الانسان بالعرض والصدفة ثم يعقبها تأنيب الضمير والندم .  
 لان اصحابكم عوض الندامة وقصد الاصلاح يجتهدون في تمكين  
 الخداع في عقول الآخرين فضلاً عن اصرارهم عليه . وكان  
 لسان حالهم يقول بعد مباشرة هذا العمل كل سنة الحمد للذي  
 اعطانا النجاج في خديعتنا هذه حتى امتلأت اكياسنا ورجحت  
 اجيابنا وزادت قناديلنا الذهبية قدراً وعدداً وفاحت رواج  
 العطر من ثيابنا الخثرية . ولا بد اننا بعد مضي ثلثاية وخمسة  
 وستين يوماً في مثل هذا اليوم المبارك وهذه الساعة السعيدة .  
 نكرر هذا العمل والخداع ولو اضطررنا ان نصرف مبلغاً من  
 الدراهم في دفن القتلى الذين يتقلون من هذه الحيوة الشقية

شهداء في سبيل خديعتنا هذه المقدسة . ولا تظن ايها العزيزان  
كلامي هذا عن غير روية ولا اسناد فان كل ما ذكرته ثبتته  
اخبار كل سنة وسنة وعلى الخصوص سنة ١٨٢٤ حتى لا يبقى  
باب للريب فيه . وربما انكم تسمعون عن السنة الثقات انه لم  
يزل الى الآن يقع على جوانب القبر المقدس في كل سبت نور  
بين الشرقيين والغربيين منازعات ومشاجرات لا تنهى الا  
بسر عصا جنود الحكم الذين بالكذب يمنعونهم عن ان يفتك  
احدهم بالآخر كما فعلوا مرارا وذلك كما يزعمون اكراما لمجد يسوع  
ولنوره الالهي . ولا يخفى ان احتمال الحكم هذه الخديعة انما هو  
لاسباب لا تمنع كون ديانة الروم قد صارت في هذه الايام هزأ  
وسخرية للام الاجنبية ولجميع طوائف النصارى الا القليل وآلة  
جهنمية للارباح النجسة . ومن العجب ان الذين يرتكبون هذا  
الاثم الشنيع والفساق النطيع يكونون في الغالب شيوخا في السن  
على حافة قبورهم ولا يباليون بما وراء ذلك من العقاب كأن  
قلوبهم قد تصلبت وصارت كصخرة صلبة لا يوتر فيها صباح  
الضمير ولا تنزعج من تبيئته وتقريره . وارجوا ايها الحبيب ان  
لا تغتاظ من كلامي هذا إذ تعلم ان الديانة لا يجب ان يكون فيها  
محاباة وان المحاماة عن الحق ودحض الباطل من واجباتنا  
السموية

فماذا عساكم تبررون كنيستكم من هذه الشوايب الابان

تقولوا ان الجماعة وليئن كانت مفسومة في امر النور الى خادع  
ومخدوع وكانت هذه الضلالة منشرة ممتدة من اقصاء الكنيسة  
الى اقصائها لا يمكن ان يكون ذلك دليلاً على فساد الكنيسة  
وفقدتها او على وجوب اللوم عليها. وذلك لان هذه الخديعة  
التي يلتطم بصخرتها كل من المخادع والمخدوع لا توجد في القوانين  
المسلم بها من الجامع

فينتج من ذلك ايها العزيز انه اذا كانت جماعة الروم قد  
استطاعت ان تزيد على انجيلها اعني المكتوبات المسلمة لها من  
الجامع حتى لم يبق لكم الآن واسطة لمعرفة الكنيسة التي لم تفضل  
الا مراجعة تلك المكتوبات التي لم يتكفل اباها الجامع عندما  
سلموكم اياها بصيانة عقولكم من الزيغان عنها والزيادة عليها  
مكتفين بما سنوه لكم فيها حجة لتقريع من يخالفها. وكذلك اذا  
كان الغريب الذي يطلب معرفة الكنيسة الصحيحة لا بد له من  
ان يغضي نظره عن الكنيسة الموجودة بوميدي في فسج ديوان  
العالم ويمضي الى الجامع ليعرف منها وبها الكنيسة الصحيحة.  
واذا كان ما يعتقد به الروم من النور وغيره مما لم يرسم ولا اشير  
اليه في الجامع ممنوعاً محرماً مع انه عام منتشر بين شعبيكم فلا بد  
اذن من الاقرار بان كنيستكم الصحيحة لا توجد الا في مكتوبات  
الجامع او اقله في قوانينها المكتوبة القديمة. ويكون قد اصاب  
مكتوبات الجامع منكم ما اصاب مكتوبات المسيح ورسوله من

لجبايكم من الزيادة عليها واستطاعة الخروج عن حيز سلطانها  
ولكن كما ان زيادتكم على ما صرّحت به الجامع التي نتخذونها  
دستوراً كافياً لمعتقدم ومخالفة فسوسكم ومطارتكم وبطاركتكم  
وعامة شعبكم شرقاً وغرباً في اجيال عديدة وتعدّهم على احكامها  
ورسومها لانكون عند ما يظهر بطلان النور مثلاً دليلاً يستدل  
به على فقد كنيسةكم الجمعية في هذه الاجيال المتاخمة كذلك  
زيادة ابايكم على الانجيل الذي يتخذة جماعة البروتستانت  
دستوراً وحيداً لايمانهم وعلمهم ومخالفتة من الفسوس والمطارنة  
والبطاركة وهلمّ جراً من اجزائهم الصغيرة كالثلاثايات التي  
كانت تجتمع في اجيال مختلفة لا يمكن ان تكون دليلاً يستدل  
به على فقد الكنيسة الصحيحة في الاجيال القديمة

والامران متشابهان جداً لايفرق بينهما الا في ان احد  
الدستورين وهو الانجيل اقدم واشرف واكثر عصمة من  
الآخر وهو الجامع. والجميع يتفقون في الاول خلافاً للثاني. وعلي  
ذلك يكون اصحابكم قد سقطوا في هذه الخرافات المتنوعة بعد  
الجامع كما نهووا بها قبل ذلك. ولا يخفى ان الذين عاشوا قبل  
الجامع باجبال يسيرة كانوا بالنسبة الى الانجيل ساقطين في  
الورطة نفسها التي اتم ساقطون فيها الآن بالنسبة الى  
مجامعكم

ثم ان السيد له المجد قال لبطرس انت الصخرة وعلى هذه

الصخرة ابني بيعتي وابواب الحجيم لانقوي عليها" وانتم تقولون ان الصخرة هنا كناية عن الايمان الذي اقر به بطرس لاعن ذات شخصه وان الوعد بان ابواب الحجيم لانقوي عليها انما يتجه خاصة الى اقرار بطرس بان المسيح هو ابن الله خلافا لما ذهب اليه الباباويون الذين يوجهون ذلك الى بطرس نفسه. ولا ريب انكم في تفسيركم هذا تنتفون بالتمام مع جماعة البروتستانت ذاهبين معهم الى ان المسيح لم يبين الكنيسة على شخص بطرس او على الذين يدعون بانهم خلفاؤه بل على ما اقر به وهو ان المسيح هو ابن الله. ولكن ياخذنا العجب عند ما نراكم تخالفون البروتستانت متفقين مع الباباويين في تفسير قوله له المجد وانا اكون معكم الى انقضاء الدهر بزعمكم ان كلامه هنا يتجه الى الاشخاص دون التعاليم والحال ان مفاد الآيتين واحد. وانتم تذهبون الى ذلك مع علمكم الاكيد بان الاشخاص ولا سيما الذين يدعون بانهم خلفاء بطرس قد زاغوا وانحرفوا عن سواء السبيل وتهوروا في ضلالات لا تخفكم. فسييلكم اذن اما ان تتحدوا مع هولاء وتسلوا لهم بالخلافة والرياسة المطلقة او ان تفسروا الآيتين تفسيراً واحداً نظير جماعة البروتستانت والافلابد من سقوطكم في ورطة التناقض. وعدا ذلك اننا نرى السيد له المجد يامر بطرس بعد قليل ان يثبت اخوته. وهو مسلم انه لو كان



مفاد الآية ان المسيح يثبت الى الابد مع الاشخاص جبراً عنهم  
لامع التعاليم لما كنا نراه يكلف بطرس ان يجذر التلاميذ الذين  
تربوا في نفس مدرسة المسيح من السقوط في الجحود الذي سقط  
هو فيه مع ان المسيح كان قد طلب من اجله على الخصوص ليلا  
ينقص ايمانه

وناهيك انه يوجد في الكتب المقدسة آيات كثيرة تثبت  
ما نحن في صدده. ولاجل الاختصار نكتفي بذكر البعض منها  
مقتصرين على ما جاء في كلام يوحنا الرسول. ومن ذلك قوله  
وبهذا نعلم اننا قد عرفناه اذا نحن حافظنا على وصاياه. وقوله  
ايضاً ومن يقول انه يعرفه ولا يحافظ على وصاياه فهو كاذب<sup>(١)</sup>  
فان الرسول هنا لم يجعل انضمامنا الى كنيسة من الكنايس علامة  
لكوننا مسيحيين بالحق بل انما جعل العلامة لذلك المحافظة على  
وصاياه تعالى. ومنه ايضاً قوله ان ثبت فيكم ما سمعتم من البدء  
فانكم اتم ايضاً تثبتون في الابن والآب<sup>(٢)</sup> فما قد وجدنا ان ثبات  
المسيح فينا معلق على شرط المحافظة. والرسول نفسه يعلمنا ايضاً  
ما هي الوصايا التي يتعلق ثبوت المسيح فينا على حفظها بقوله فاما  
وصيته فمهي هذه ان نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح وان نود بعضنا  
بعضاً<sup>(٣)</sup> فاننا نحن مع هذا الرسول نطلب من الذين يدعون

(١) يوحنا اولى ص ٤٠ وع ٢٠ (٢) ع ٢٢ (٣) يوحنا

اولى ص ٤٠ ع ٢٢

بثبات المسيح فيهم ان يسيروا بسيرته ولا نطلب منهم أكثر من ذلك . ومن ذلك ايضاً ما جاء من قول المسيح وهو ان حفظتم وصاياي ثبتتم في محبتي . وقوله ايضاً وانتم احبائي ان علمتم ما اوصيتكم به<sup>(١)</sup> فكيف يصح ان المسيح يضع هذه الشروط كلها لو كان يعلم ان مخالفتهم لوصاياه غير مستطاعة لديهم كما ينتج من تفسير البعض لقوله تعالى وانا اكون معكم الى انقضاء الدهر ثم اننا نراكم ايها الحبيب تشيرون الى بعض تقليدات تسمونها الهية حاكين بوجوب الاعتقاد بها اذ تلومون الخواجة ميخائيل مشاققة على صرفه معنى الشهادات الموردة من السيد مكسيموس مظلوم في هذا الصدد الى وجه يوافق مرامه . ولما بلغنا ذلك منكم انعكفنا ثانية علي مطالعة نبذته الاولى فلم نر فيها شيئاً مما نقدفونه به . الا اذا كان مرادكم عكس القضية به كما فتكونون قد اصبتم

وملخص كلام الخواجة ميخائيل في جوابه الى غبطته ان عدم اتفاق الجميع في التقليدات هو من جملة البراهين على كذب دعواها . وحضرتكم نسالون كيف يصح الاستدلال على كذب دعوى التقليدات من عدم الاتفاق عليها واخلاف الكنايس فيها

ونحن نجيبكم ان الذي يعين النظر جيداً في هذا الامر يمكنه

(١) يوحنا صا غداوعلا

ان يستدل علي ذلك من دون صعوبة. لانه لما كانت التقاليد  
 المختلف فيها لا توجد راساً في الكتب المقدسة كانت معرفة صحيحها  
 من فاسدها موكولةً بالتأمل الى مطالعة كتب التواريخ المختلفة  
 الواصلة اليها التي ربما قدرنا بواسطتها ان نعرف اصل هذه  
 التقاليد وكيفية وضعها وزمانه ومكانه ومن هو الواضع وكيف  
 وصلت الى ما وصلت اليه من القوة والامتداد وهلمّ جراً من  
 الظروف التي يحتاج من يفحص عن صحة التقاليد الى معرفتها  
 لكي يمكنه ان يميز ما كان منها صحيحاً واجباً فيعتقد به او غير  
 صحيح فيرفضه

ولاريب انكم بذلك تكونون قد سلمتم زمام الحكم على صحيح  
 التقليد وفاسده الى روية المطالع الخصوصية. وهذا من اعظم  
 ما تنكرونه. وتكونون ايضاً قد نزلتم الكتب التاريخية في تعليم  
 الناس ووقايتهم من الضلال منزلة الكتب المقدسة نفسها كانوا  
 اناجيل عديدة مختلفة متممة للانجيل الواصل اليها الذي تدعون  
 بعدم كفايته وحده لارشادنا في الايمان والعمل. وهذا منافٍ  
 لكلامه تعالى

هذا مع ما نراه من الاختلافات بين المؤرخين واضطرابنا  
 الى عدم تصديقهم في كل ما يقولونه بما انهم بشر غير معصومين  
 نظيرنا وربما كانوا اشقياء مايلين الى التعويج. فضلاً عن انه  
 لا يوجد نص الهي ولا قانون كنايسي يامرنا بتصديق ما نقلوه

كهوحي به من الله او ضروري للخلاص  
واذا كنتم ايها الحبيب لا تسلمون بنتيجة الخواجا مجائيل  
مشاقة فيلزمكم ان تسلموا بالوف من الكتب كضرورة للخلاص  
ومعصومة من الغلط نظير الكتب المقدسة نفسها. لانه يجب  
علينا ان نعرف صحيح التقليد من فاسد وهذا كما تقدم لا يمكن الا  
بواسطة هذه الكتب. وكل ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب  
كوجوبه. فتكون النتيجة ان مطالعة هذه التواريخ واجبة  
كوجوب الكتب المقدسة وهذا ما لا يسلم به احد. لاننا لا نقدر  
ان نزيد على عدد الانبياء او الرسل ولا ان نومن بكل روح الا  
ما كان من الله

وزد على ذلك انه اذا لم يكن للخواجا مجائيل مشاقة  
ولاننا سبيل الى التمييز بين صحيح التقليد وفاسد الاقوال  
المؤرخين وكان ذلك من الواجبات الضرورية فانه يجب على  
حضرتكم. اولاً ان تحكموا على الجميع بمطالعتها ككتب ضرورية  
ومتممة للوازم الخلاص كما تحكمون بقرأة الكتب المقدسة. ثانياً  
ان تحكموا بصحتها حكماً قاطعاً قانونياً لاريب فيه. ثالثاً ان  
تفرزوا ما كان منها غير واجب تصديقه او ما لا يعينكم رفضه  
ولا قبوله. رابعاً ان تفهموهم كم يجب ان يصدقوا منها والى اي  
صفحة من التاريخ بقدر ان يصدقوا ولا يؤلموكم. خامساً ان  
تبينوا لهم كيف يجب ان يقرأوا هذه التواريخ بروح التقوى

والايمان من دون ارتيابِ كانهم يقرأون كتاب الله نفسه.  
سادساً ان ترشدوهم الى المورخين الذين يجب ان يلتجئوا اليهم.  
وهنا ننصحكم ان تحذروهم من مطالعة كتب مورخي اللاتينيين  
او غيرهم من المخارجين عن كنيستكم. لان مورخي هولاء لا  
يتفقون مع مورخي السنكسار وبستان الرهبان المقبولين عندهم  
اللذين ربما كنتم اتم لاثقون باخبارها. ومع ذلك ايها الحبيب  
ما ابعد آراءكم عما نقله المورخون الاقدمون وبعض الاباء  
المعتبرين

اما نحن فلا نعلق ايماننا ورجاء خلاصنا على كلام الناس  
او اقوال المورخين نظيركم ولهذا لانحاج اليهم لاجل اثبات  
تعاليمنا ومعتقداتنا. ولانائي بذكر شيء من اقوالهم الا لاجل مجرد  
الشهادة التي لا يكون منها فائدة زائدة على ما قد قيل في متي  
ومرقس وغيرها من الانجيلية والرسل

اما الجامع فالباين انكم لم تتركوا لنا محلاً للايمان بعصمتها من  
الغلط لاننا نرى انكم تشكون بمعظمها واقدمها كالتي حرمت  
نقديم السجود للايقونات. فان كنتم اتم مع اعتقادكم بالعصمة  
الجمعية تنكرونها على البعض منها فكيف يمكننا نحن ان نتحقق  
عصمة البعض الآخر مع ان ما تنكرون عصمته اقرب عهداً الى  
المسيح واعلم بصحة التقليدات المزعومة منكم. ومعلوم حضرتم ان  
هذا الخلاف مما يوقع الجامع كافة تحت الشبهة والريب فلا يبقى

لنا سبيل الى تصديق شيء منها او الاستناد عليه  
ولا يخفى ما نحن به من الضعف وقصر حيوتنا وعدم اقتدارنا  
ان نحل هذه الرموز المغلقة المحجوبة عنا بما انطوى من الزمان .  
لان البحث عن كل جزء منها يستلزم صرف زمن طويل في  
مراجعة تواريخ الاقدمين والمتأخرين من كل جنس وهذه  
لا يمكن احداً ان يستتم قراتها كما يجب ولو عاش مئة سنة وذلك  
ما لا يتيسر الحصول عليه في هذه الايام حتى للاشقاء . ولهذا  
نرون جماعة البروتستانت عند ما يشاءون الوقوف على حقيقة  
من الحقائق المسيحية لا يذهبون الى كتب التواريخ نظيركم بل  
يفتحون كتاب الله ويتعلمون منه بكل طمانينة وسهولة جوانر  
اتخاذ الصور والتماثيل مثلاً او عدمه من دون خطر الوقوع  
في اغواء الاقاويل المتنوعة . ويكتفون باحكامه حيرة الشبهة  
بينما تكونون انتم معاشر المجعبيين تتنازعون وتنتقلون بالحرومات  
والسيف على مجامع بعضكم بعض

ولست اشير بذلك ايها الحبيب الى المجامع التي حرمت  
الاقونات فقط بل ايضاً الى المجامع التي تتخذها كنيسة دون  
اخرى ركناً وطيداً في امر الديانة . وذلك كالجمع الثامن المقبول  
كركن من الكنيسة الغربية والمحروم كاراتيكي من الكنيسة  
الشرقية . ولا يوجد الآن قاض يقضي بين هاتين الكنيستين  
ويُسَدِّل بحكمه على المصيب منها الا التاريخ اذ لا يمكن ان

يصيب الفريقان معاً لما بينهما من التضاد. وقد رأينا ان هذا  
القاضي يمكن ان برثى فاسيل

ثم اذا قلتم ان الرسل لما راوا ما وقع من الفساد في امر  
الدين انما كتبوا ما كتبوه احترازاً من المفسدين فسالكم لماذا  
لم يكتبوا كل ما يجب الايمان به ويضطر اليه في امر الخلاص.  
لانه اذا كان الفساد الذي دخل الكنيسة في نفس ايامهم في مدة  
وجيزة قد احوجهم الى تدوين ما دونوه من التعاليم المسيحية  
فلماذا لم يخافوا ان يتركوا بقية التعاليم المسيحية المزعومة منكم انها  
ضرورية للخلاص غير مكتوبة. انما يخشى ان يضل بها الاجيال  
التابعة لهم كما ضل غيرهم في التعاليم الاخر. وحقاً ان في هذا  
لعجباً عظيماً لمن يتأمل

ولا يخفى ان الرسل كانوا يعلمون برسائيلهم تجسد الكلمة  
وموت المسيح لفداء البشر وقيامته وصعوده وهلم جرا من  
الاصول العظيمة. فهل نقولون ان الذين كتب الرسل اليهم  
كانوا في ريب من هذه التعاليم فذكرهم بها او انهم كانوا يجهلون بها  
راساً فعلموهم اياها

فان كانوا في ريب منها فذكرهم بها يكون الذين كتبت  
تلك الرسائل اليهم قد خالفوا الدين المسيحي على الخط المستقيم  
حتى لم يعد يصدق عليهم انهم مسيحيون. ولهذا كان يجب ان  
الرسل يعيدون عليهم مكررين كل ما علموهم اياه. وليت شعري

إذا كان هؤلاء لم يثبتوا على الايمان ببشرى المسيح راعا على شيء من  
اصول الديانة المسيحية الصريحة فكيف يُظن انهم يثبتون على  
تقليداتكم الموهومة كالقطاعة وتكريم الايقونات ونحوها. والباين  
ان الرسل لم يعلقوا كبير فائدة على هذه التقليدات ولهذا ترونها  
قد ضربوا صفحاتها عنها وتركوها وما كتبوا في رسالهم الا ما راوه  
مع جماعة البروتستانت ضروريا للخلاص

وان كانوا يجهلون بها راسا على الفرض الثاني فعلوم اباها  
فتكون تلك الرسائل تعليما لاتذكيرا وعلى ذلك بقدر الخارجون  
ايضا ان يتعلوا منها جميع الواجبات. ومن ثم تكون معلما كاملا  
لللام ودستورا وحيدا للكنيسة حتى اذا جاء ملك من السماء  
فكم بالبحري قسيس وبشرها بما يخالف هذه البشرية يكون  
عن اذنكم محروما

وها قد وجدنا ان الكتاب المقدس وحده كاف للخلاص  
لانه لم يكتب للكنيسة فقط بل للخارجين عنها ايضا وعلى ذلك  
لابد من كونه كافيا بذاته وحاويا كل ما يجب الايمان به كما  
لا يخفى

ومعلومكم ايها الحبيب ان الرسل القديسين كانوا يحذرون  
الناس من تعاليم كثيرة ادخلها معلوا الزور منهمين على مثل هذا  
الفساد حجة على المفسدين. افلعل هذه التقليدات الموهومة منكم  
هي نفس ما كان مبشروا الانجيل يخافون منه ويحذرون القوم



تضييقه فيه . ولا ريب انه لا يمكن وجود واسطة لاختلاف  
 المذاهب وتبسيارها بقوات في العالم اعظم من دعوى التقليدات .  
 فان كل كنيسة تفتح بها وتوهم بنيتها بان كل ما لم يذكره الكتاب  
 هو من التقليد وهذه الواسطة تثبت غلطها وتهرب من الفحص .  
 فاذا نطلما توجد دعوى هذه التقاليد وتنزل التقاليد منزلة  
 المكتوبات لا يبقى سبيل الى معرفة الكنيسة الصحيحة اصلاً . وهذا  
 تجديف على عناية الباري تعالى وحكمته لاننا نظن ان كل ما  
 كان ضرورياً للانسان من وسايط المعرفة لخلاص نفسه قد  
 منح له من الله باجلى برهان

فعلى اصحاب التقليد اذن ان يعينوا عدد تقليداتهم ويجمعوا  
 ملخص محاوراتهم واخلافاتهم فيها . ونحن نتراعى عليهم ان  
 يفعلوا ذلك بوجه الاختصار لاجل قصر الحيوة عن ايفاء حق  
 النظر اليها جميعاً بالتفصيل من جرى كثرتها . ثم ياتوا بما كان  
 الينا لكي نضربه على كتابه تعالى فان رايناه يطابقه رددناه اليهم  
 اكتفاءً بما عندنا لانه يحويه . وان لم يطابقه او بالحري ضاده او  
 لم يوجد فيه انكرناه متذكرين ما تهدد الله به من زاد على كتابه  
 شيئاً او نقص منه شيئاً

ولكن واسفاه اننا لانطمع في انهم يتفرغون لهذا العمل .  
 لاننا نرى ان احد المشاهير من اصحاب الغيرة على تقليدات  
 اباؤهم لم يشأ ان يصرف اقله ثلثين يوماً في المحاماة عنها وتأييدها

ودحض آراء المصادين لها . وذلك مع علمه الاكيد ان هذه التهمة  
تكفيه لكي يدحض جميع كتب شركائنا في الضلال ويظهر جلياً  
زيغان تابعيها عن الحق . والحال انه قد صرف نحو احدى  
عشرة سنة في المحاماة عن امرٍ لا طائل نفعه كما لا يخفى . ولا نعلم  
ماذا يلبيه الآن ويعيقه عن مباشرة هذا العمل الذي يجب ان  
يكون اهم اعماله لما يتعلق عليه من هلاك النفوس وخلاصها  
فتتوسل اليكم ايها التقليديون ان تتركوا دعوى هذه  
التقليدات التي ليس لبحرها قرارة اكراماً لذلك الذي لم يلهم  
بتعليق حرفٍ من كتابه العزيز الا رحمةً منه ولطفاً بعباده  
الضعفاء متذكرين قول القائل كما نحن في الكتابة هكذا نحن  
في الكلام

واعلموا يا معاشر التقليديين انكم اذا فعلتم ذلك يزول من  
وسطكم جميع الاختلافات التي مزقت كنيسة المسيح وصارت  
سوراً شامخاً بين نور الانجيل وعقول الامم حتى لم يعد همكم  
ان يعرفوا طريق الاهتداء اليه . ولا يعود حينئذ يوجد فيكم من  
يقول انا لبولس والآخر لافلؤ بل نصير جميعاً للمسيح وبالمسيح  
رعية واحدة لراعي واحد ونصير سماءاً جديدة وارض جديدة  
وتتلاً الكنيسة ببهاء الطهارة الرسولية اذ تنظف اذيالها من  
ادناس الخرافات واقذارها . فنسأله تعالى وهو اكرم مسيول  
ان يكمل مواعيدك الالهية ويهدي الجميع الى الصواب وينير

بضياء انجيله الباهر جماعة الضالين السالكين في الظلمة وظلال  
الموت. اللهم امين

انه في السابق حينما كانت سلطة الاكليس كحاجز بين  
النور وابصار العامة كانت الرعية لاتعني الا بمطالعة ما تقدمه  
لم جماعة الاكليس من الكتب. ولذلك كان الاكليس من  
عادتهم ان يجرموا في الكنايس من يقرأ الانجيل من عامة الشعب  
او يطالع كتاباً اخر يشعر بفائدته. وقد كانت هذه الوساطة  
الغريبة تغنيهم عن كلفة البحث وتقييم من الخطر الذي يتوهمون  
وقوعه من تنوير ابناهم. وكانهم في ذلك يحاولون قص اجنحة  
الملك المذكور في سفر الرويا ص ٤٢ واما الآن فقد تغيرت  
الاحوال واختلفت معهم اخلاقاً فبيننا لاننا نرى ان الحرومات  
والتهديد بالترذيل وانواع التحقير قد فقدت قوتها ولم تعد  
تنزل منزلة برهان مقنع لدى العامة فضلاً عن الخاصة الذين  
يطلبون برهان التعاليم التي تُعرض عليهم من كلمة الله العزيزة  
فقط. وهذه لا يمكن ان يوجد فيها ما يويد المكر والخداع كما لا  
يخفى. ولذلك نرى انه قد ارتفع عن كتابه تعالى قصاص الحريق  
وارتاح من الحرومات واللعنات المعهودة. ولولا حصول مثل  
هذه التقلبات لكان اصاب نبذة الخواجا مشاققة من الاتون  
المتنصري ما اصاب غيرها من الكتب كما تقدم

على اننا نرى ان البعض من المضادين لما لم يجدوا سبيلاً  
الى الرد على النبذة المذكورة ومنع الناس عن مطالعتها اخترعوا  
طرقاً جديدةً لابطال قوتها وهي الطعن على مؤلفها . فمنهم من  
اتهمه لدى الاجانب بالحقوق بمذهب الفخامين مع ما فيه من  
تحليل المنكرات وارتكاب المعاصي التي تهدد الله فاعليها بنار  
الوعيد . والذي جهلهم على ذلك انما هو عدم تسليمه بما زادوه على  
كتابه تعالى من التعاليم والخرافات كتكريم التصاوير  
وسلطان القسوس في حل الذنوب وربطها وهملاً جرماً من هذا  
القبيل . ومنهم من ذهب الى ان الخواجا مشاقة قد حرّف  
الكتابات الصادرة من غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم المحترم .  
ونحن نقول لهؤلاء بكل احشام ان دعواهم هذه كاذبة وقد فاتهم  
ان الكتابات الصادرة من غبطته تحت الختم البطريركي لم تنزل  
محمولةً عند الخواجا مشاقة فمن اراد الوقوف على الصحيح فعليه  
بالتحقيق والّا فليصمت ويكف عن تهمته هذه الباطلة مرتاحاً  
من كل قال وقيل ويحوّل اجتهاده الى التفتيش على برهان  
غير هذا يطابق الحق ويقبله العقل السليم . لان الاشاعات التي  
يجتهدون في تقريرها في اذهان العوام لا بد من ظهور كذبها  
اخيراً وحل الغير على عدم الثقة بكلامهم . وهذه النصيحة من اعظم  
الاسباب التي حملت المؤلف على تدويل خطابه هذا بهذه الخاتمة

١٨٤٩  
طبع في بيروت سنة مسيحية